بر الوالدين

خطبة الجمعة لسماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله-

بجامع الإمام تركي بن عبد الله (الجامع الكبير) بالرياض

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 6-8-1429

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله: عباد الله: إن المتدبر لكتاب الله، ولسنة محمد -صلى الله عليه وسلم-، يجد في كتاب الله، وفي سنة رسول الله، الحق الواجب على الأبناء نحو آباءهم وأمهاتهم، والحق الواجب على الآباء نحو أبناءهم وبناتهم، والحق الواجب على الزوج نحو زوجته، وعلى الزوجة نحو زوجها، تلك الحقوق في كتاب الله، وفي سنة محمد -صلى الله عليه وسلم-، إن المتأمل لهذه الحقوق، يجد اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة، والحرص الشديد على بناءها، بناءً متناسقاً، بناءً متكاملا من حيث بيان الحقوق والواجبات الملقاة على كل فرد، ليتم التعاون بين الأسرة، فإنشاء النشأ على أحسن حال، وأكمل خلق، وإنما يحصل النقص، وإنما يحصل البلاء عندما يتخلى المسلم عن الواجبات التي أوجبها الله عليه، وعن الحقوق التي طولب بها، فإذا طبق المسلم تعاليم الإسلام، تعاليم الإسلام من خلال النصوص القرآنية، والنصوص النبوية، فإن ذلك عنوان سعادة الفرد والمجتمع .

أيها المسلم: فلننظر إلى الحق الواجب على الأولاد ذكوراً وإناثا، نحو الآباء، ونحو الأمهات، لنجد أن هذا الحق العظيم، مؤكد في كتاب الله، مقروناً حق الوالدين، بحق الله، فما أمر الله بعبادة إلا وأمر ببر الوالدين، فالبر قرين التوحيد والعقوق، قرين الشرك، والعياذ بالله .

أيها المسلم: فلنتدبر الحقوق التي دل القران والسنة عليها نحو الأبوين، ولنستعرض أيضاً أثار بر الوالدين، وعن أثار بر الوالدين ونتائجه، ثم نعرج على الحقوق الواجبة للأبناء والبنات على الأباء والأمهات، فأما حقوق الأبوين، فإن الله جل وعلا جعل لهما حقوق عديدة، فأول هذه الحقوق: الإحسان إليهما، الإحسان إليهما، قال الله تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))، وقال جل جلاله: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))، وقال: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))، فما هو هذا الإحسان أيها المسلم؟ إنه الإحسان بمعناه العام، إحسان في الأقوال، إحسان في الأعمال، إحسان بالمال، إحسان بالبدن، إحسان بما يقوم في القلب من حب الوالدين، وتقديم طاعتهما على طاعة الزوجة والأولاد والنفس، هكذا الإحسان في الإسلام، يحسن للأبوين بقولك، فالقول منك حسن، والقول منك طيب، وإن كان الكلام الطيب مأموراً به مع كل أحد، لكن مع الوالدين أشد تأكيدا، تحسن إليهما بأعمالك، فالعمل إحسان، والبر والخدمة إحسان، يحسن إليهما بمالك، فتنفق عليهما، وتنفق عليهما، وترى ذلك واجباً عليك، تحسن إليهما، ففي قلبك رحمة بهما، وفي قلبك عطف عليهما، وفي قلبك حب لهما، وفي قلبك تقدير لهما، والأم آكد من الأبِ في ذلك، لما تعانيه من الحمل والوضع والرضاع وتبعاته: ((وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ))، ورجل يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- قائلاً:(من أحق الناس بصحبتي، قال: أمك؛ قال: ثم من؛ قال: أمك ؛ قال: ثم من؛ قال: أمك؛ قال: ثم من؛ قال أبوك)، وحق ثان للوالدين، وحق ثان للوالدين أن لا نخاطبهما بسوء القول، وإن قل أن لا نخاطبهما بسوء القول، وإن قل، وأن نحسن خطابهما، والتحدث معهما، قال تعالى: ((فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا))، قولاً سهلا، لينا ينم عن محبة، وعطف، وإحسان، فلا تقل لهما أف، كلمة زجر، ولا تنهرهما بالقول، ولا يظهر منك انفعال، واعبساس الوجه عند كلامهما، بل كن طيب القول، طيب النشرة لهما، وإذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)، فكيف بالأبوين وفعلهما الطيب، وحق لهما آخر أن نشكرهما على جميل فعلهما، نشكرهما على جميل فعلهما، ونعترف لهما بالفضل، وربنا جل وعلا قرن شكرهما مع شكره، فقال وهو أصدق القائلين: ((أَنِ

اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ))، فأعظم حق عليك، حق الله ورسوله، وبعد حق الله ورسوله ،الحق الواجب للأبوين: ((أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ))، وحق لهما آخر أن ترحمهما في إحسانك، وتعطف عليهما، وتسأل الله لهما مزيد الفضل والإحسان: ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا))، ومن حقهما عليك أيضاً، السمع والطاعة لهما في المعروف، والبر بهما ولو كانا على غير الإسلام، ولو كانا فاسقين، وسيئي القول والأعمال، قال تعالى: ((وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا))، فأمر بالبر والإحسان لهما، وأن معصيتهما، وكفرهما لا يمنعان البر والإحسان إليهما؛ جاءت أم أسماء إلى المدينة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي مشركة فقالت: (أسماء يا رسول الله إن أمي أتتني راغبة أفاصل أمي؛ قال: صلِ أمكِ).

أيها المسلم: ومن حق الأبوين عليك الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة والإحسان والمعاملة الطيبة فلهما عليك معروف عظيم، وإحسان جليل، افرض أن مخلوقاً عاملك بالإحسان، فأحسن لك، أقرضك ووساك، ففي قلبك له مودة، لمعروفه وإحسانه ، وإن معروف الأم والأب وإحسانهما فوق إحسان سائر الخلق، مهما بلغ، مهما بلغ، فإحسانهما إليك عظيم، يقول -صلى الله عليه وسلم-: (إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، أو ولد صالح يدعو له، فاغتنم أوقات الإجابة، وألح على الله في الدعاء لهما أن يغفر الله زلاتهما، ويمحو خطاياهما، ويعلي درجتهما، ويجعلهما في دار كرامته، في أمن واستقرار و طمأنينة.

أيها المسلم: وحق لهما آخر أن تجتنب سبهما أن تجتنب سبهما مباشرة، أو تسببا، فمن المباشرة ألا تسبهما بأي قول، وأعظمه اللعن، والعياذ بالله، ففي الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم- قال: (لعن الله من لعن والديه، قالوا: يا رسول الله، أو يلعن الرجل والديه، قال: نعم؛ يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه)، فمالك أخي بسب الماضين من الأموات، وما لك فائدة من ذلك سوى أن تجر على والديك لعنة لاعن، وسبة ساب، فتكون من الآثمين.

أيها المسلم: أيها المسلم: إن حق الوالدين عليك عظيم، إن حقهما عليك عظيم، إنه يجب أن تحسن إليهما، وتحسن صحبتهما، ولا تدخل الهم والحزن، ولا يدخل الهم والحزن عليهما بأسبابك، فتواضع لهما طاعة لله، وقربة تتقرب بها إلى الله.

أيها المسلم: وإن مظاهر البر في الإسلام عظيمة، فمن ذلك أن محمد -صلى الله عليه وسلم- جعل برهما أفضل من الجهاد التطوع في سبيل الل،ه ومعلومٌ ما للمجاهدين من أن الجهاد السابق سببٌ لمغفرة كل الذنوب التي بين العبد وبين ربه، فبر الوالدين أعظم من مواقف الجهاد، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- أي الأعمال أحب إلى الله قال: (الصلاة في وقتها؛ قلت: ثم أي؛ قال: بر الوالدين؛ قلت: ثم أي؛ قال: الجهاد في سبيل الله)، فانظر إلى البر كيف جعل بعد الصلاة، لأن الصلاة من أعظم الحقوق بعد التوحيد، فجاء البر يليها، فالمصلي الصائم القانت هو البار المحسن بأبويه.

أيها المسلم: ومن مظاهر بر الوالدين، وفضائله أن البر للوالدين سبب لدخول الجنة، قال -صلى الله عليه وسلم-: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف؛ قيل: من يا رسول الله؛ قال: من أدرك أبويه أحدهما، أو كليهما فلم يدخلاه الجنة)، إن البر أيها المسلم من فضائله أنه سبب لرضوان الله عنك، يقول -صلى الله عليه وسلم-: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين)، إن برهما سبب لتكفير الذنوب والسيئات، أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل قال: (يا رسول الله عملت كذا، وكذا، أريد التوبة إلى الله؛ قال: هل لك من أم؟ قال: لا؛ قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم؛ قال بر بها)، جاءه رجل يستأذنه في الجهاد، قال: (أحي والداك؟ قال: نعم بل كلاهما حي؛ قال: ارجع ففيهما فجاهد)، ومن حقهما عليك أن تكرم أهل ودهما ، ومن كان له في الدنيا صلة وأخوة، فذاك من البر والإحسان، فذاك من البر والإحسان، كان عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في طريقه إلى مكة حاجا، أو معتمرا كان معه جمله وحمارا ينزل يركب عليه إذا تعب من

ركوب الجمل، فلقيه رجل من الأعراب، فسلم عليه، فعرفه عبد الله بن عمر، فخلع عمامة على رأسه وأعطاه إياها، ثم أعطاه الحمار الذي معه؛ فقال ابن دينار: فقلت: له أصلحك الله إنهم الأعراب يكفيهم القليل؛ قال: إن أبا هذا كان صديقاً لعمر، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه- وسلم يقول: (إن من أبر البر إكرام الرجل أهل ود أبيه بعده) ، وأتى أبا... المدينة فزاره عبد الله بن عمر، فقال: أترى ...، قال: إن أباك كان صديقاً لعمر، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن أبر البر أن يكرم الرجل أهل ود أبيه)، وسأله رجل فقال يا رسول الله: (هل بقي من بر أبويا شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال نعم: الصلاة عليهما – أي الدعاء –، والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما).

أيها المسلم: لا تستثقل بر الوالدين، فإنك ستكون أباً بعد ما كان أبوين، وستحتاج إلى أولادك كما احتاجا إليك، وتتمنى من يرفق بكما كما كانا يتمنيانك، فراقب نفسك، فالمرور عليك، وإن طال الزمن لا تخدعك الصحة والسلامة والعافية، لا يخدعنك صحة بدنك، وكمال قواه، فلا بد أن يأتي يوم تضعف فيه القوى، وتقل فيه الحيلة، وتحتاج إلى من يرعاك كما يحتاج الطفل إلى من يرعاه، فقدم عملاً صالحاً إلى الأبوين، ففي الأثر: (بروا أبائكم تبركم أبناءكم)، فقدم العمل الصالح، ولا يضيع عند الله عمل عامل/، وتقرب بذلك إلى الله.

أيها المسلم: لا يخدعنك مالك، فتتكبر على الأبوين، ولا يخدعنك جاهك، ولا يخدعنك أولادك، ولا يخدعنك صحتك، وعافيتك، فالبر نعمة من الله يهبها لمن يشاء من عباده، والعقوق من الجرائم العظيمة، وإن العقوق خلق ذميم، ودليل على اللئامة، وفساد الأخلاق، وقلة المروءة في الحديث، يقول -صلى الله عليه وسلم-: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله: قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين).

أيها المسلم: إن الحق لوالديك سريعة العقوبة، سريعة تنزل العقوبة بك ، ففي الحديث: (ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما ادخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)، إن البر للوالدين سبب للين القلب، وسبب لبركة الرزق، وسبب لطول العمر، وسبب لصلاح الولد، وسبب لطول النفس، وسبب لهناء العيش، وسبب يدفع المصائب والبلايا؛ انظر إلى الثلاثة الذين سكنوا الغار، فانطبقت عليهم الصخرة، كان من دعاء أحدهم: (اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ما كنت أغبط قبلهما أهلاً، ولا مالا لهاني طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما إلا وقد ناما، فحلبت غبوقهما، وانتظرت استيقاظهما، والصبية يتلاظون تحت قدمي، فما سقيت أحدهما حتى اذا استيقظا شربا، يا رب إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا، ففرج الله عنهم كربة من ذلك الموقف)، إن البر سبب لتفريج الكربات ، وزوال الغموم، وقضاء الديون، وتفريج الهموم، فارتقب دعوة منهما صالحة يدعون الله لك، فعسى أن توافق ساعة إجابة ، واحذر الإساءة إليهما، فدعائهما على أولادهما مستجاب، والعياذ بالله.

ويا أيها الأب ويا أيها الأم: عندما تشعران من الأولاد بشيء من الجفاء، فالجأ إلى الله أن يصلح قلوبهما نحوكما، والجأ إلى الله أن يمن عليهما، وإياكما والضجر والدعاء، فإن ذلك لا يغني شيئا، التجأ إلى الله بالدعاء لهما بالتوفيق والسداد، وإياكما والدعاء عليهما، فإنه مستجاب.
نسأل الله: السلامة والعافية، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي، ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً، كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، سمعنا حقوق الآباء والأمهات على الأبناء والبنات، وهناك حقوق للأبناء والبنات على الآباء والأمهات، فأول الحقوق اختيار الاسم الحسن للذكر والأنثى، اختيار الاسم الحسن الذي لا جفاء فيه، ولا ... فيه، فالأسماء الحسنة مطلوبة النبي ولد له إبراهيم فقال: (ولد لي البارحة ولدا وسميته باسم أبي إبراهيم)، النفقة على الأولاد والنبات، واحتساب ذلك عند الله تربية الأولاد والبنات التربية الصالحة، حثهم على الصلاة أبناء سبع، وضربهم له أبناء عشر تعليمهم، وتثقيفهم الأخذ على أيديهم من جلساء السوء، ودعاة الفساد والفتن والضلال، الأخذ على أيديهم من صحبة من لا خير في صحبته، ومن صحبته شر وبلاء وسبب لانحراف العقول والأفكار والسلوك، العدل بينهم في الظاهر من الخطاب والمعاملة، فيما بينك وبينهم في الظاهر، وأن لا تفضل بعضهم على بعضهم في العطاء، فتشعل نار الفتنة بينهم، معاملة بالحسنى والصبر على بعض أخطاءهم، سؤال الله لهم التوفيق في الدعاء، الرجل الصالح: ((وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))، وقوله: ((وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا))، ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا))، التربية الصالحة، والصبر على بعض التقصير، والمعنى الحسن، وتحري التربية، والتوجيه لهما، فاسأل الله أن يغرس فيهما الخير، ويجعلك سبب لهدايتهما، التجأ إلى ربك، وسل لهما دائما التوفيق والسداد، والله يقول: ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)).

واعلموا رحمكم: الله أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار، وصلوا - رحمكم الله- على سيد الأولين، والآخرين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، سيدنا ونبينا محمد ابن عبد الله، الهاشمي، القرشي -صلى الله عليه وسلم-، امتثالا لأمر ربكم القائل: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) .

اللهم صلي وسلم، وبارك على عبدك، ورسولك سيد ولد آدم، وارضا اللهم عن خلفاءه الراشدين، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك، وكرمك، وجودك، وإحسانك، يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام، والمسلمين، وأذل الشرك، والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمنا مطمئناً، وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين .

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وولاة أمرنا؛ اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين؛ اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبد الله بن عبد العزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأييدك؛ اللهم أنصر به دينك، وأعلي به كلمتك، واجمع به قلوب الأمة على الخير والهدى.

اللهم وفق ولي عهده سلطان بن عبد العزيز لكل خير، وسدده في أقواله وأعماله، واجعلهم أعواناً على البر والتقوى.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء، والمنكر، والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه، يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.